

حادثة الطوفان بين الأسطورة، الدين والآثار

The incident of flood between myth, religion and archaeology

يامون عمر*

المدرسة العليا للأساتذة - مسعود زغار - العلة. سطيف،

الجزائر

o.yamoune@ens-setif.dz

تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٠٤/١٧ النشر: ٢٠٢٤/٠٧/١٨

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٢/١٠

ملخص:

سنسعى في هذه المقال العلمي إلى تسليط الضوء على جزء مهم من التاريخ البشري القديم، ويتعلق هذا الجزء بإحدى الوقائع المتكررة ضمن العديد من الثقافات حول العالم، وفي هذا المضمون تتنوع التفاصيل المتعلقة بأساطير الطوفان، والتي تحمل في مكوناتها وطياتها العديد من التفسيرات ذات الطابع الاجتماعي والديني وحتى بعض الأبعاد والدلالات الرمزية، فلما من تداول هذا النوع من الوقائع تلقين البشرية القيم الذاتية كالتجدد واكتساب خاصية التأقلم مع الظروف الجديدة ورفع التحديات أمام الكوارث الطبيعية، فالأساطير المرتبطة بالطوفان لا تعبر بالضرورة عن حقائق تاريخية ثابتة لكنها في المقابل تحوي في ثناياها عددا معتبرا من القيم العقائدية والثقافية. فقصص الطوفان البشري القديم ذات دلالات رمزية بطبيعتها لأنها تشير بصفة مؤكدة وتعبر بصفة صريحة عن التحدي القائم بين الإنسان وظروف بيئته القاسية التي تحدّد دوماً شك مسارات وحياة الأمم والشعوب ومصائرها.

الكلمات المفتاحية: طوفان؛ دراسات؛ حادثة؛ أسطورة؛ رافديون؛ ملحمة؛ مدونات.

Abstract :

In this scientific article, we will seek to highlight an important part of ancient human history. and this part relates to one of the recurring realities of many cultures around the world, In this content, details about the myths of the deluge, in which many interpretations of a social and religious nature and even some dimensions and symbolic connotations are carried, are varied. This kind of fact is intended to indoctrinate humanity's subjective values such as renewal, acquiring adaptability to new conditions and raising challenges to natural disasters. myths associated with the flood do not necessarily reflect established historical realities, but in turn contain a significant number of ideological and cultural values.

The stories of the ancient human deluge are symbolic in nature because they certainly indicate and express explicitly the challenge between man and the harsh conditions of his environment, which undoubtedly determine the paths, lives and destinies of nations and peoples.

KeyWords: deluge; studies; incident; myth ; Mesopotamians ; epic; blogs.

*يامون عمر

المقدمة:

تعتبر حادثة أو واقعة الطوفان من الأحداث المهمة والبارزة التي تم تناولها وتداولها ضمن المصادر القديمة باختلاف أنواعها وفتراتها، وقد ورد ذكرها بإسهاب ضمن التراث الشفوي والكتابي للشعوب والأمم البائدة والسائدة على حد سواء، وتأتي في مقدمتها أسطورة الطوفان الرافدي التي استحوذت على حيز من فكر الإنسان الرافدي القديم وركنا فسيحا في مكوناته الداخلية، بدليل أنها أصبحت الحدث المعلمي الذي يحدد بها الرافديون مختلف الحقب الزمنية، كما أعدها معظم المختصين في علم الآشوريات أنها الحد الفاصل بين عصر البطولات الأسطوري والعصر التاريخي الواقعي.

وبناء على مكانة هذه الواقعة وأهمية دورها التاريخي على الساحة العلمية -التاريخية، فقد أرفقناها بتساؤل جوهري مفاده: هل حقيقة تعتبر هذه الحادثة واقعة تاريخية بكامل محتوياتها أم هي في الحقيقة من إحياء الفكر الرافدي القديم الخصب؟، وهل فيه اتفاق بين الدراسات الأثرية والدينية حول طبيعة هذه الحادثة؟ أم أن الأمر يتجاوز كلا الجانبين؟، وفيما تكمن مواطن الضعف لبلوغ الهدف العلمي المتمثل في مطابقة محتوى الروايات الأدبية مع محتوى النصوص الدينية واللقى الأثرية؟

I. الإطار العام لحادثة الطوفان:

تعالج الأسطورة السومرية في مضمونها العديد من القصص التي تدور أحداثها حول الطوفان والتي تم تناقلها في المنطقة بنفس النسق الذي جاءت به فيما مضى الروايات المرتبطة بعملية الخلق (بناء على جل القصص الكونية كان مصطلح أصل يشير في معناه الجوهري إلى الوضعية الأولية التي ميزت الماضي البعيد الذي اندثر وعوض بموجودات مستحدثة، وانطلاقا من هذا الواقع فقد طرحت على الساحة العلمية الكثير من التساؤلات عن موضوع البدء وقد استهدف السؤال الجوهري الخوض ضمن مفهوم العلم المرتبط بالكونيات (الكوسمولوجيا)، ويضم هذا الاتجاه بدوره الخوض في إشكالية الأصول البشرية، وتوحي كلمة الخلق (Création) إلى تكوين الوجود من طرف الإله وإلى التحولات والتحورات التي برز بفضلها الوجود الحيوي بغض النظر عن ارتباط تلك البداية برغبة ربانية أو بواسطة التشكل بفعل العديد من المصادر الخام أو بواسطة "جملة من التخمينات والتكهنات"، (محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ٢٠٠٦، صفحة ٢٧)، فمحتوى نص الطوفان الذي كشف عنه في معثورات مدينة "نيبور" (نذكر أهم نموذج عن لقائها الأثرية "فهرس الكتب"، وفي محتواه هو كتيب محدود الحجم كشف عنه وهو تقريبا في حالته المثالية بفضل الآثاري "صمويل نوح كيرمر" الذي أثبت بالدليل أن صاحب هذا المدون الثمين قد وفق في إدراج إثنتين وستين عنوانا من الحقول الأدبية المنقوشة على صفحتي اللوحة الطينية المشتملة على مواضيع شتى)، (كيرمر، الصفحات ٣٧١-٣٧٢) السومرية يضم في مضمونه العام جل القصص ذات الصلة بالطوفان خلال الفترات اللاحقة في كل

من بلاد اليونان وبابل وضمن مدون التوراة، مع الأخذ بعين الاعتبار الوضعية الرديئة التي عثر عليه اللوح الطيني المشتمل لهذه الملحمة الأدبية (السواح، ١٩٨٨، صفحة ١٥٧)، وميدانيا فقد تم الكشف عن هذا النص في حدود سنة ١٨٩٥م وبداية النشر الأولي محتواه تصادفت مع بداية الحرب العالمية الأولى، كما تم العثور لاحقا على لوحين آخرين يعتزان نسخا طق الأصل عن النص النموذجي، الأول ضمن تنقيبات حاضرة "أور الكلدانية" (تتواجد بقاياها في الشق الغربي لنهر الفرات على مسافة تقارب الخمسة عشر كيلومترا جنوبي غربي مدينة الناصرية، وهي تعتبر تاريخيا من أقدم المدن التي تم بناؤها جنوب بلاد ما بين النهرين في حدود عام ٥٠٠٠ سنة ق.م ومن أبرز مبانيها الزاقورة، وقد أنهى وجودها العيلاميين سنة ٢١٧٠ ق.م.)، (الحسني، صفحة ٠٨) والثانية غير معلومة المصدر وقد تم حفظها ضمن مقتنيات المتحف الانجليزي، وتعتبر نسخة مدينة "نفر" النسخة الأكثر قيمة لتفسير محتوى قصة الطوفان السومري (أدونيس، ١٩٩٧، صفحة ٢٧٧)، كما اعتبرت رواية الطوفان إحدى الوقائع المهمة التي استحدثت على مساحة معتبرة من المخيال الأدبي الرافديني وموروثاته اللغوية، وقد رأت النور مجموعة من النصوص الأدبية الواردة ضمن المدونات الأكثر قدما ونذكر على سبيل المثال لا الحصر نصوصا متنوعة المصدر بابلية وسومرية، ونستطيع تقريبا أن نجعل من الطوفان المذكور ضمن المدونات المسمارية لكلتا المدينتين أنه كان واقعة تاريخية حدثت خلال الفترة الممتدة ما بين نهاية العصور ما قبل التاريخية وبدايات العصور التاريخية وذلك مع انقضاء الألف الرابعة ق.م (طه، ١٩٧٦، صفحة ١٧٣).

إن اللفظين السومريين "urn-ma-a" والبابلي "abubu" يقصد بهما ضمينا الطوفان، وبناء على تخمينات الأقدمين فهو يعد حدثا عالميا ولم يشمل على المنطقة الرافدية على وجه الخصوص، بينما أصبحت لفظة "abubu" ضمن القاموس اللغوي الأكدي ملازمة لمفهوم الخراب وقد قام البابليون بتوظيفها كحدث معلمي ومفصلي في آن واحد بغرض التدقيق الزمني للوقائع التاريخية، وبناء على المضمون الاصطلاحي للكلمة فإن هذا الحدث كان واقعة فاصلة بين فترتين زمنيتين متباينتين فالأولى تمثل الحقبة الأسطورية والثانية هي المرحلة التاريخية (محمود عزيز، صفحة ١٩٩).

كما عثر المنقبون على ألواح صلصالية تحمل دلالات على وجود نقاط اتصال وتماثل بين مضمون الرواية التوراتية ومحتويات القصة البابلية، وفي هذا الشأن فقد تالقت محتويات جميع الأقصيص عن الطوفان ضمن نفس التفسير التاريخي والذي يرى مبدئيا أنه حدث قد جرى في وادي الرافدين خلال الموسم الخاص بالفيضان، وتتوافق الحكايات والأساطير السومرية منها و البابلية من جانب آخر مع ما تم تداوله في نصوص العهد القديم، وقد انفردت هذه الأقصيص عن المدونات التوراتية في تفسيرها وشرحها للمتغيرات الطبيعية، ومن المعلومات المؤكدة أن الطوفان المقترن بشخصية النبي نوح عليه السلام هو بالتطابق التاريخي متماثل مع الطوفان السومري الوارد وصفه ضمن الكتابات المسمارية وأن موقع حدوثه نفسه وهي المناطق المتموضعة عند دلتا الرافدين شمال مدينة "أور"، وما يجب التنويه إليه في هذا الموضوع بالذات أن الأقوام العبرانية قد استوحيت جل مراحل هذه الرواية خلال الفترات اللاحقة (زايد، صفحة ٠٨ و ما بعدها)، وبالرغم من جهلنا لجميع المدونات الفخارية التي دونت عليها حادثة الطوفان إلا أن المدونة

الوحيدة التي تحكي لنا مجريات وقائعه قد تم ايجادها ضمن الطبقات الأثرية لمدينة "نفر" وهي منقوشة على الثلث السفلي لها، ويبرز هذا اللوح الصلصالي مدى تأثير الإنسان الرافدي بالطوفان من الناحيتين العاطفية والنفسية (محمد عبد الحليم، ١٩٧٣، صفحة ٧٦).

وقد احتوت الكثير من المواقع المنتمية لمدينة "بابل" بقايا وعينات مثالية لمجموع الفيضانات التي وقعت خلال الفترات السحيقة والتي تنسب دون أي شك لفترة الطوفان الأولي، فهذه البقايا المادية تدعم المرجعية التاريخية لهذه الواقعة المهمة (قيزوللو، ١٩٩٠، صفحة ٢٧)، ومن الجانب الآخر فإن شح المدونات الأصلية التي تحوي حكاية الطوفان قد جعلتها حدثاً يكتنفه الغموض ونستثني من هذا الأمر اللوح رقم ١١ من الملحمة الأسطورية الخاصة بشخصية "جلجامش" (ملحمة جلجامش: تعتبر أقدم وأكمل ملحمة رافدية وصلتنا مكتوبة بالخط الأكدي خلال الألف الثانية ق.م، وهي في حقيقتها تمثل قطعة أدبية مطولة تتألف مما يفوق نحو ثلاثة آلاف سطراً محفوظة على اثني عشر لوحاً فخارياً، وقد تم العثور على ترجمتها الحقيقية ضمن المكتبة والأرشيف الملحق بقصر العاهل الآشوري "آشور بانيبال" وهي قطعة فسيفسائية جمعت في محتواها الأدبي بين مضامين الأدبين البابلي ونظيره الآشوري)، (محروس إسماعيل، ١٩٩٨، صفحة ١١٦)، وهذا دون احتساب الأجزاء المعتمدة من الرقم الصلصالية التي تجعل من عملية تتبع التسلسل التاريخي للأحداث أمراً صعب الحدوث بحيث تفتح هذه العيوب المجال أمام تخمينات وإضافات مترجمي الألواح حسب ايدولوجياتهم وذاتياتهم (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ٢٠٠٩، الصفحات ٢٥-٢٦).

كما ساد الاعتقاد سابقاً بأن حادثة الطوفان السومرية التي تفرعت عنها حكاية الطوفان العبرية (الطوفان العبري: يتفق نقاد العهد القديم أن واقعة الطوفان العبرية المثبتة في سفر التكوين تربط بين حكايتين فريدتين في أصلهما ومختلفتي المحتوى جزئياً، وقد قام المؤلف بصهر محتويهما بينهما لتنشأ عنهما قصة واحدة متناغمة من ناحية المظهر الخارجي وهي تتصف بالتكرارات والتناقضات، أما المصدران اللذان استوحى منهما سفر التكوين قصة الواقعة عنهما فأولهما "المدون اليهودي jahvistic document" والذي تم تأليفه في حدود عام ٨٥٠ ق.م في مملكة يهودا، أما المؤلف الثاني فهو "المدون الكهنوتي priestly document" وهي إضافات الكهنة التي أدرجوها كإضافات بعد عهدي عزرا ونحميا، ومن بين التباينات الموجودة ومنها المظهرية فإن اسم الإله في محتوى المصدرين مختلف بشكل كلي ففي المدون اليهودي يطلق عليه مسمى "يهوه" أما في المحتوى الكهنوتي فيدعى "إلوهيم"، (بيومي مهران، ١٩٨٨، الصفحات ٥٣-٥٤) لا تستند إلى دليل تاريخي، لكن وبعد اكتشاف المنقب الإنجليزي "ليونارد وولي" فقد اختلف مضمون المعطيات (بدأ مسيرته العلمية الحافلة بالإنجازات كآثاري ومؤلف لأشغال الحفر الأثري في "كوربريدج" عندما كان يشغل وظيفة أمين مساعد ضمن المتحف التابع لجامعة أكسفورد ما بين أعوام ١٩٠٥ م و ١٩٠٧ م)، حيث كرس وقته للتقيب في مدينة "كركميش" وكذلك في "أور" أين ابتسم له الحظ وأزال الغار عن عدد من المعثورات كالزقورات والجبانات الملكية)، (فهد حماد، موسوعة الآثار التاريخية (حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف

ولغات)، ٢٠٠٣، الصفحات ٦٧١-٦٧٢) في مدينة "أور" سوية أثرية من الطين سمكها يقارب المترين ونصف والتي تؤرخ بحوالي عام ٤٠٠٠ ق.م، وقد أكد في مؤلفه الموسوم بعنوان "أور الكلدانيين" ١٩٢٩م أن السيل لم يكن عارما وإنما حدد وجوده في منطقة المجرى السفلي للنهرين وأنه شمل منطقة طولها ٤٠٠ ميل وبعرض ١٠٠ ميل تقريبا (شمولية الطوفان: إن حادثة الطوفان المذكورة في القرآن الكريم قد وصلتنا بصورة مختلفة عن أقاصيص الطوفان الختواة في العهد القديم وضمن الكثير من ثقافات الشعوب والأمم الأخرى، فبالرجوع إلى أسفار النبي موسى عليه السلام الخمسة فإن حدود الطوفان كان ذا امتداد شمولي، إلا أن القرآن الكريم لم يشر لا من جانب قريب ولا من جانب أبعد إلى أي معلومة تتعلق بهذا الشأن، بل على النقيض تماما فالآيات الكريمة التي تحدثنا عن تفاصيله فهي تؤكد لنا بشكل واضح أنه كان طوفانا محدود السعة، وأن هذا الأخير أهلك فقط قوم النبي نوح عليه السلام الذين قد خرجوا عن نهج نبيهم فاستلزم ذلك أن يسلط عليهم العذاب)، (يحي، صفحة ٢١) مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه المنطقة كانت وفقا لمنظور ساكنيها بمثابة العالم ككل (كوتريل، ١٩٩٢، صفحة ٢٨٩).

أما بخصوص المصدر القرآني فلم يبين على وجه الحقيقة المساحة التي غطتها المياه، وإنما قد التزم ضمينا بوصف الطوفان بأسبابه الظاهرة والخفية وب نماذج تعبيرية متباينة، ولا يمكننا أن نستخلص من الآيات القرآنية العديدة التي تناولت قصة الطوفان بأنه احتوى كل اليابسة مكانيا أو بشريا، والعبارة الشاهدة على ذلك هي الآية القرآنية الكريمة التي تشير إلى ارسال النبي نوح عليه السلام إلى أبناء جلدته، وقد ذكرت ضمن أربعة مواضع في كل من سورة هود، الأعراف، المؤمنون والعنكبوت وهذا الدليل الأول، وهناك العديد من الآيات التي توحى بأن قومه هم المحددون بالواقعة (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الصفحات ٩٨-٩٩)، وينفرد نص مدينة "نفر" بعامل المصادقية لما يحتويه من العبارات القيمة والمشتمة على ديانات السومريين وتحميناتهم عن أصول العناصر الكونية والآلهة وتكوين بذرة الإنسان وكذا عن أصل السلطة الملكية وذكر خمسة مدن سابقة لفترة الطوفان (نوح كريم، ١٩٧٤، صفحة ٢٥٢)، وقد شمل هذا الأخير الكثير من الحواضر الرافدية ولعل أهمها "كيش" (اعتبرت هذه الحاضرة منشأ لأربع أجناس أولية في تاريخ بلاد ما بين النهرين والفرنسيون هم السباقون للتنقيب فيها تحت قيادة "هنري دي جينوايلايك" خلال عام ١٩٢٧م، وفيما بعد تليه فرق من البريطانيين والأمريكان وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٢٣م-١٩٣٣م، وعثر في المنطقة محل الحفر الأثري على بقايا قصر سومري وجبانة ترجع إلى لعصر الأسر المبكرة)، (فهد حماد، المرجع السابق، صفحة ٥٤٥) وبناء على المصادر المتنوعة فقد كانت هذه المدينة فيما مضى مركزا لحكم أولى العائلات الملكية وأيضاً حاضرة "شروباك" (مدينة سومرية تبعد نحو ٦٠ كم من مقر منطقة "الديوانية" اليوم، الموطن الأصلي "لأتونيشتم" الشخصية الرئيسية للمحمة الطوفان)، (صائب، ١٩٩٤، صفحة ٨٠) والتي بينت التنقيبات أن طوفانا كبير الانتشار قد حدث فيها خلال الفترة الممتدة ما بين (٣٠٠٠ و ٢٩٠٠ ق.م) وأن آخر الحواضر التي عمها الطوفان هي "الوركاء" (يعد عهد الوركاء الفترة الحضارية التالية لعصر حضارة العبيد في بلاد ما بين النهرين وتنسب مخلفات هذه الحضارة إلى مدينة الوركاء "Warka" واسمها القديم "أوروك" وقد وردت ضمن سفر التكوين بمسمى "أراخ"، وتبعد هذه المدينة الأثرية مسافة ٣٠ كم من منطقة "السماوة" جنوبا والمسماة حاليا

"وركة" وهي من أقدم المدن ذات المنشأ السومري ومن مراكزها الدينية المهمة خلال الألف الرابع ق.م.)، (أمين سليم، ٢٠٠٠، صفحة ٨٤) التي برزت فيها طبقة من الطين التي تدرج كجزء من بقايا الطوفان وفي نفس الحقبة الزمنية مع مدينة "شروباك" (يحيى، المرجع السابق، صفحة ٣١).

وكان مرجع أسطورة الطوفان التجارب القاسية التي خاض غمارها الرافديون القدامى جراء معاناتهم المتكررة من فيضانات النهرين، وقد عولج محتوى هذه الرواية هذه الملحمة ضمن قالب أدبي شعري يعبر بشكل صريح عن غضب الآلهة، ويقول بطل هذه الملحمة في قصته: "أدخلت إلى السفينة عائلتي وأحبائي وحيوانات الحقل والوحوش وكثيرا من الحرفيين المهرة، ولما أنزل إله الظلام مطرا مدرارا أوصدت مدخل السفينة فدوت الرعود واشتعل وميض البرق وتلبد الأفق البعيد بغيوم سوداء واستمر هبوط الأمطار حتى شمل كل الأرض فذعرت الآلهة واستكانت بقمم الجبال وصرخت عشترت كزوجة تعایش المخاض..." (حبيب، صفحة ٤٩)، كما جاء في مضمون الواقعة عدة أوصاف عن أهوالها: "وحتى الآلهة قد انتابهم الفزع من قوة الطوفان فهربوا وصعدوا إلى فضاء آخر، لقد تسمرت الآلهة في مكانها وصاروا مثل الكلاب قرب الجدار" (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، صفحة ٢٦).

وقد اجتهد المنقبون في ترجمة الكثير من النصوص التي تبرز قوة الطوفان وسعته بقولها: "وتحطمت البلاد الواسعة كما تحطم جرة الفخار" وفي محتوى ترجمة مشابهاة "وانكسرت الأرض الفسيحة كما ينكسر الإناء"، فلفظة البلاد في الترجمة الأولى توحي بأنها منطقة صغيرة الامتداد بينما نفس الكلمة في الترجمة الثانية فتشير إلى الأرض ككل، وكذا قد أشارت ترجمة المؤرخ "صمويل نوح كيرمر" عن المساحة التي شملتها مياه الطوفان بـ: "اكتسح السيل البلاد" وعبر عنه كذلك بترجمة أخرى مشابهاة لها "وغمرت السيول واجهة الأرض"، كذلك لفظة البلاد لا تشير إلى فكرة أن الطوفان قد شمل كل أرجاء المعمورة بينما عبارة وجه الأرض قد يراد به معنى التعميم (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الصفحات ٢٥-٢٦).

وقد تناول المدون التوراتي القصة الرافدية بجميع اضافاتها وجوانبها الدقيقة، لكن إذا أخذنا مبدءاً أن الرافديين القدامى قد احتفظوا بهذه الواقعة كذكرى مرتبطة بالظروف المناخية لموطنهم وبأساليبهم الفكرية، فإن المدون التوراتي الذي كان بعيدا كل البعد عن مواكبة ومعاصرة تفاصيل الحدث فقد عالج جزئيات الملحمة بصيغة ذاتية ليحقق منها مآرب ومصالح عديدة فيرجع الأمر ككل للرب العبراني، ثم يجعل بذلك بطولية القصة من نصيب الرجل ذو النسل النقي (نوح عليه السلام)، لأنه اعتبارا من نوح سيأتي بنو عابر ثم يضيف المدون التوراتي تفاصيل لم تكن موجودة ضمن الأصل الرافدي بما يثبت صدق مرجعيتنا الفكرية، والتي تدعم الفكرة القائلة بأن العبرانيين قد استحوذوا على التراث وغيروا محتواه بما يتماشى مع مصالحهم الشخصية ثم أعادوا تصريفه إلينا مرة أخرى وهو مبني على تصورات عبرانية انتهائية (سيد، ١٩٩٩، صفحة ٢١٣).



لوح الطوفان المتضمن قصة أو حادثة الطوفان

(قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، صفحة ٢٤)

١. عملية بناء الفلك (السفينة):

عملا بمبدأ بقاء الخشب الذي شكلت منه السفينة فيذهب بنا الاعتقاد إلى أنه من أجود الأنواع، والدليل على ذلك بقاء مقدمة السفينة على حالتها المتماسكة بعد وصول عملية التركيب الخاصة بها إلى المؤخرة، وبالرغم من يقيننا التام بقوة الخشب المستخدم إلا نوعيته تبقى مجهولة المصدر، ولو أن النصوص التوراتية تطلق عليه اسم "خشب جفر" إلا أن لا أحد من الباحثين استطاع التعرف على أصل هذه الشجرة حتى وقتنا الحالي (غنمي، ٢٠٠٠، صفحة ٩٣).

وفي مستوا آخر تسهب القصة والعهد القديم في وصف السفينة فتبين لنا أنها قد صممت بطريقة هندسية فريدة من نوعها وتعليمات من شخص ذو كفاءة وخبرة بحيث تحدد أبعادها وعدد تقسيماتها ومكان البوابة والتجويف الذي تمر عبره أشعة الشمس وخلاف ذلك من التفاصيل، فقد ورد في مضمون "ملحمة جلجامش" ما يلي:

وكان سطح أرضيتها إيكو (البابلي مساحة تماثل ما يقارب نحو ٣٦٠٠ م^٢ أي نحو "إيكر" واحد ويساوي إيكر البابلي نحو ٤٠٠٠ متر)، (أبو سعود، ٢٠٠٩، صفحة ١٦٤) واحدا، وارتفاع أسوارها نحو مئة وعشرون ذراعا

وطول كل جهة من جهات سطحها الأربع نحو ١٢٠ ذراعا

عينت مظهرها الخارجي وشكلتها على هذا النحو:

صممت فيها ٠٦ طوابق سفلية... الخ.

وكذلك المدونات التوراتية التي تصف بشكل دقيق السفينة وأسلوب هيكلتها، وقد تضمنت العديد من نقاط التداخل مع الأساطير (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، صفحة ٥٧):

"وهكذا تشكله: ٣٠٠ ذراع يكون طول الفلك، و ٥٠ ذراعاً يحدد عرضه، و ٣٠ ذراعاً يجعل ارتفاعه،^{١٦} وتصنع صالبا للفلك، وتكملة إلى مستوى ذراع من أعلى. وتنصب مدخل السفينة على جنبه. بيوت تحتية ووسطية وعلوية تصيره" (سفر التكوين (١٥: ٠٦، ١٦)).

كما تذكر أسطورة الرجل الصالح "أوتنبشتم" (هذا اللفظ البابلي الأصل يشمل كل من الفعل أوتو بمعنى عثر وكذلك من الاسم نبشتم بمعنى النفس أو الحياة وبناء على ذلك يصبح الاسم الكامل له "لقد عثرت على الحياة"، وهو كناية عن بلوغه مصاف الخالدين)، (عبد الواحد علي، صفحة ٣٩) هيكل السفينة، في سياق حديثه:

شكلت فيها ستة طوابق تحتية، وبهذا جزأها إلى سبعة طوابق

وجزأت سطحها إلى تسعة أقسام، وأرفقت فيها أوتادا لتثبيتها في الماء

وجهرتها بالضاغطة وحملتها بالمؤونة اللازمة، وأفرغت ستة كيالات في الكورة

وأفرغت كذلك ثلاثة شارات من مادة القطران، وأحضر أصحاب السلال ثلاث شارات من السمن

زيادة عن ذلك شار واحد إضافي من السمن لملء أوتاد الماء.

وفي ركن آخر من الأسطورة يقول "بطل الملحمة":

وفي اليوم الخامس شكلت هيكلها وكان اتساع جزئها السفلي نحو ايكو واحدا

وكان علو كل سور منها فهو ١٢٠ ذراعاً

وطول أطراف سطحها كان كذلك

بهذا الشكل عينت أبعادها ومظهرها لقد فصلتها فيها ست تقسيمات

وبهذا جزأها إلى سبعة طوابق، ثم بعد ذلك فصلت سطحها إلى تسعة أقسام

وثبتت فيها أوتاد خشب لعزلها عن الماء (عبد الواحد علي، الصفحات ٧٨-٧٩).

أما أسطورة "أترحاسيس" فيعلمه الإله "أنكي" (إله بابلي وأحد عناصر الثالوث الديني لدى السومريين بعد أنو

وأنليل، واللفظ (أن-كي) يأتي بمعنى ملك الأرض، كما معروفا كذلك باسم (أي-يا) أي منزل الماء وهذا النعت

يحدد مهنته بالمياه، رمزه العددي هو الرقم ٤٠، يعد إله الماء العذب ولفظة إيا السومرية تشير إلى مركز المياه والكلمة

تصاحب هذا الإله في العديد من النصوص المدونة، ويكنى في بعض الأحيان سيد أبسو أي صاحب المياه الموقوفة،

وأول وصف له قد صيغ تحت مصطلح "نو دي مود" أي الذي أوجد الإنسان، (نعمة، ١٩٩٤، صفحة ١٥٧) بطريقة بناء الفلك، فيقول في هذا الصدد:

والسفينة التي ستشكل أضبط بناءها كماء الأبسو (تنسب هذه اللفظة إلى مياه المحيطات المتميزة بالعذوبة في عمق الأرض والكلمة ذات أصل سومري، وقد عرف عند سكان أكد بـ "أبزو" وينظر إليه باعتباره مركز الآلهة، وكان مكان عبادته الرسمي في حاضرة "أريدو")، (نعمة، ١٩٩٤، صفحة ١٢٩)، بحيث لا يمكن رؤية الشمس في جوفها. واضبط سقفها صعودا ونزولا، ولتجعل جبالها صلدة متماسكة.

وليكن القبر خشنا ليكون فلكا متينا (أبو سعود، المرجع السابق، الصفحات ١٦٥ - ١٦٦).

٢. مدة الطوفان وموقعه الزمني:

إن للواقعة الأسطورية بناء على المدونات التوراتية فترتين متباينتين، إذ يرى المصدر التوراتي أن الفيضان قد استغرق ٤٠ يوما، وفي المقابل يقر المصدر الكهنوتي ١٥٠ يوما، ولا يحدد لنا المصدر الأول زمن حدوث هذه الواقعة بالموازاة مع حياة النبي نوح عليه السلام ولكن المصدر الكهنوتي يدقق في محتواه حيث يحدد تاريخ وقوعه في سن ٦٠٠ عام من حياة هذا النبي، وتقدم لنا نفس هذه القصة إحياءات عن فترته الزمنية بالمقارنة مع فترة النبيين آدم وإبراهيم عليهما السلام، وهذا اعتمادا على شجرة الأنساب، وعملا بالحسابات للمشار إليها ضمن سفر التكوين (ويسرد لنا حكاية نوح عليه السلام ورواية السيل العارم وقصة النبي إبراهيم عليه السلام وذريته، ويختم كلامه بقصة النبي يوسف عليه السلام إلى غاية وفاته)، (محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط ٠٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص ٧٢، ٧١). والتي ترى بأن نوحا قد ولد بعد نحو ١٠٥٦ سنة بعد فترة آدم فإن السيل يكون قد حدث وجوبا بعد مرور ما يقارب ١٦٥٦ عاما من ظهور آدم وبالنسبة إلى إبراهيم فيقر سفر التكوين الطوفان بوجود فارق ٢٩٢ سنة قبل الميلاد (بوكاي، ٢٠٠٤، صفحة ٥٥).

أما فيما يخص ترمين الطوفان "فجرى بعد مرور ٠٧ أيام أن مياه السيل قد طغت على اليابسة،^{١١} في عام ٦٠٠ من عمر نوح خلال الشهر ٠٢. خلال اليوم ١٧ من الشهر أثناء ذلك اليوم بالذات تساقطت كل مياه السحاب المثلث وتحررت أبواب السماء" (سفر التكوين (١٠: ١١)،^{١٢} وكان المطر على اليابسة ٤٠ يوما و ٤٠ ليلة،^{١٣} وأثناء ذلك اليوم بالذات ولج أبناء نوح وزوجته ونسوة بنيه،^{١٤} هم جميعا وجل الدواب بأنواعها وكل الحيوانات كأصنافها وكل الحيوانات التي تسير على اليابسة كأجناسها كل طائر كل صاحب جناح" (سفر التكوين (٠٧: ١٢ - ١٤)).

كما أشارت المدونات ذات الطابع الأسطوري أن فترة استمرارية الطوفان كانت ٠٧ أيام ففي ملحمة "زيوسودرا" نميز قوله:

وبعد أن بقي السيل يضرب البلاد ٠٧ أيام بلياليها

وصيرت الأعاصير الفتاكة تأرجح الفلك في المياه المرتفعة

أضأت الشمس وأنارت الأرض والسماء.

أما قصة "أوتنبشتم" (اللفظ البابلي للعاهل زيوسودرا السومري متصدر شخصيات حادثة الطوفان وكلمة أوتنبشتم فتدل في معناها "عثرت على حياتي" والبعض الآخر يصيغها بتعبير مختلف "الذي شهد الوجود" والتسمية في هذا الموضوع مأخوذة من نوعية الهبة التي تحصل عليها نظير خلاصه للحياة على اليابسة، وقد اعتبرته المصادر شخصا باراً وهو ذات الشخص الذي شغل جلعامش بالبحث عنه ليدرك منه سر الخلود الذي أفردته به المعبودات الكبرى)، (نعمة، المرجع السابق، صفحة ٥٩) فتقول في مضمونها:

سنة أيام وسيع أمسيات ورياح السيل تعصف، وقد شملت الأعاصير الجنوبية الأرض
ولما جاء اليوم السابع قلت حدة العواصف
وفي سياق آخر يخاطبه الرب قائلاً:

أوتنبشتم يا سيد شروباك خرب البيت وابني الفلك
أترك ممتلكاتك وصن حياتك، غادر بها وخذ معك جوهر كل خليقة
ويقوم الشخص الصالح في هذا المقام بتطبيق تعاليم إلهه، حيث يسرد أعماله قائلاً:

"وأتممت الفلك في اليوم السابع وملائها بجميع أنواع الكائنات، وتواصلت رياح السيل ٠٦ أيام و٠٦ ليال، واشتملت اليابسة كما تعمها عاصفة الجنوب، وخلال اليوم الأخير من الأسبوع أطلقت سبيل حمامة، فغادرت وعادت واستحال عليها أن إيجاد منطقة بارزة تحط عليه، وبعثت طائر سنونو ورجع دون أن يجد مكاناً معيناً ينزل عليه، فأرسلت غراباً فغادر ولاحظ الماء يتقلص فاسترزق ومرح وبقي هناك دون رجعة، وفي ذلك الوقت قابلت جهات العالم الأربع وضحيته ونذرت قرباناً على قمة الجبل" (سيد، المرجع السابق، صفحة ٢١٢).

أما في العهد القديم فقد ذكرت مدة ٤٠ يوماً في الإصحاحين ٠٧ و ٠٨، أما المصدر القرآني فقد ميزه الصمت عن تعيين فترة السيل وذلك عملاً بمرجعية النصوص القرآنية التي لا تدقق في أوجه التفصيل وإنما مرادها الرئيسي من الحكاية هو الوعظ والارشاد فقط (أبو سعود، المرجع السابق، صفحة ١٧٩).

٣. الامتداد الجغرافي للطوفان وسعته المكانية:

فيما يتعلق بالحيز المكاني للطوفان فحسب الآثاري "Léonard Woolley" فلم يكن حقيقة سيلاً عاماً شمل الكون برمته، وإنما كان مقتصرًا على الجرى السفلي للنهرين التوأمين، وأنه أغرق المساحة الملائمة للسكن في تلك بين المرتفعات الجبلية والصحراء (هذه المنطقة بالنسبة لسكانها الذين هي العالم برمته)، وأن المساحة التي عمها السيل ربما

كانت نحو أربعمئة ميلا طولا مضروبة في مائة ميل عرضا (بيومي مهران، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، ١٩٧٥، صفحة ٣٩٤).

كما نصادف في التوراة ذكرا لموقع رسو الفلك واستقراره الفعلي، بحيث تقول النصوص: وتوقفت مصادر المياه وفتحات السماء فتوقف المطر عن الانهمار من السماء.

وكفت المياه عن اليابسة بشكل متتالي، وبعد ١٥٠ يوما تراجع منسوب المياه، واستقرت السفينة في الشهر ٠٧ في اليوم ١٧ من الشهر على جبال أراط (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، صفحة ٤٧).

II. الطوفان بين المصادر الدينية والأدبية (التوراة، القرآن الكريم والأسطورة):

تشارك المصادر الثلاثة بشكل واضح في الوقائع الأساسية وبعض النقاط المفصلة حتى جاء في ظن ثلة من المؤرخين أن المصادر المتنوعة قد نقلت عن بعضها البعض، منها اليقين المسبق بحدوث الواقعة ففي محتوى الرواية الرافدية يقول "أوتنبشتم" لحفيده قلقامش: "إن الآلهة الكبيرة قد قست قلوبهم وطاوعتهم على أحداث السيل"، أما في النصوص التوراتية فقد ورد في سياق مخاطبة الله لنوح عليه السلام: "١٣ نهاية كل بشري قد ظهرت أمام ناظري لأن الأرض ملأت عدونا وطغيانا منهم..."، "١٤ اصنع لنفسك سفينة من خشب جفر" (سفر التكوين ١٣: ١٤)، أما في النص القرآني: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ (سورة هود / الآية ٣٧).

وتوافق أيضا على تسمية الشخصية فالعهد القديم يكتبه Noah مع القرآن الذي يسميه نوحا (أناخ) والتي تفسر بمعنى "النازل بسلام"، أما في الرواية الرافدية فتطلق عليه اسم "زيوسودرا" و"أتراحاسيس" بمعنى "ذو الحكمة الفسيحة" و"أوتنبشتم" أي "حامي الأنفس" (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الصفحات ٥٤-٥٦).

أما فيما يتعلق بالتباينات الموجودة بين هذه المصادر فإن النصوص القرآنية تبين بشكل واضح ما يحتويه فلك نوح فقد ألزمه الله أمرا مفروضا بأن يضع على متنها كل ما سيبقى على قيد الحياة بعد السيل الغامر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾ (سورة هود/ الآية ٤٠)، ولا يوضح العهد القديم إلى هؤلاء من بين ركاب الفلك، وهي في الواقع تقدم ثلاث قصص من محتواها:

النصوص الكهنوتية وترى أن نوحا وأهل بيته جميعا وزوج من كل نوع حيواني، أما المصدر اليهودي فهناك تمايز فيما يخص العديد من الحيوانات والطيور النقية وبين الأنواع النجسة من جانب آخر.

كما تبرز لنا العديد من الاختلافات بخصوص موقع رسو المركب، فيشير العهد القديم بأن المنطقة التي توقف فيها هو جبل "أراط" (التكوين ٨: ٤)، أما الآيات الكريمة فتقر بأنه "الجودي" (سورة هود الآية ٤٠)، لكن ليس في

حوزتنا ولا دليل ملموس يبين أن بني آدم لم يغيروا الأسماء لتحقيق التكامل بين الحكايتين (بوكاي، المرجع السابق، الصفحات ٢٥١-٢٥٢)، وقد تباينت الموارد الثلاثة في تسميته، فالأساطير السومرية تسميه "جبل نيشور" أو جبل "نزيري" وود وصفه على النحو التالي "واستقرت السفينة على جبل نصير"، والعهد القديم "أراراط" في حديثه "واستقرت السفينة في الشهر ٠٧ في اليوم نفسه من الشهر على جبل أرات" (تكوين ٨: ٤)، أما النص القرآني فيقول ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة هود/ الآية ٤٤)، لكن ما يلاحظ هنا أن كليهما لم يذكر مكان الجبل بالتدقيق والذي توقف فيه الفلك، ورغبة منا في التعرف على الموقع نجد أنه من وجه الإلزام والضرورة العودة إلى التفاصيل الواردة ضمن مصادر البحث وإلى المعلومات الحقيقية في المجال العلمي والتاريخي والجغرافي (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، صفحة ١٣٤).

والرأي الغالب بين جل المختصين في البحوث المسمارية أن جبل نصير يتواجد في منطقة "كرديستان" بمسافة تبعد حوالي ٤٥٠ كم شمال مدينة "شروباك"، في حين يرجح المنقب والمؤرخ "طه باقر" أن المعنى الصحيح له هو "جبل الخلاص"، كما نجد ذكرا ضمن الأخبار المتداولة في أخبار ملك الآشوري "آشور ناصربال" تعيين مكانه جنوبي وادي الزاب الصغير، أما في العهد القديم فالواقع أن أراراط لا يعتبر جبلا وإنما هو تغيير للاسم القديم "أورارتو" *Urartu* والذي يشير إلى منطقة أرمينيا (أرمينيا: تتواجد ضمن إقليم جبال القوقاز وتمتد على هضبة أرمينيا صعبة التضاريس، ويمثل الجنس الأرميني النسبة الأكبر من سكانها إضافة إلى بعض الأقليات الكردية والروسية)، الموسوعة العربية العالمية، ١٩٩٩، صفحة ١١٠)، أما في القرآن الكريم فقد تباينت تأويلات المفسرين حول المقصود بالجودي قياسا على اجتهاداتهم، ومن بينها أن الجودي عبارة عن مرتفع جبلي بالقرب من مدينة الموصل العراقية أو أنه أحد جبال الجنة ولهذا السبب استوت عليه، لكن ما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد أن القرآن الكريم لم يفصل في هذا الأمر وذلك لتحقيق حكمة إلهية (أبو سعود، المرجع السابق، الصفحات ١٨١-١٨٢).

كما جاءت لفظة "أراراط" في مواضع عديدة من النصوص التوراتية للدلالة على أرض ومنطقة محددة لا على جبل، ومن أدلة ذلك ما جاء وصفه في سفر إشعيا (يتكون من ٦٦ إصحاحا، وقد عرف بنبوءاته الصحيحة ولعل أبرزها انخيار السامرة، كما تنبأ بتخريب سنحريب لمدينة أورشليم)، (شلي، ١٩٨٨، صفحة ١٥٦): "وبينما هو ساجد في معبد نسروخ إلهه، ضربه أدرملك وشرآصر ولداه بالسيف، وهربوا إلى موطن أراراط، وحكم أسرحدون خليفته عوضا عنه" (سفر إشعيا (٣٧: ٣٨)) وكذلك ما صرح به سفر إرميا (يتكون من ٥٢ إصحاحا بينت كيفية خروج العبرانيين عن النهج الصحيح، ويحتوي كذلك على نبوءات عديدة لإرميا منها تنبؤه ضد الحكام المستبدين وأشباب الأنبياء والكهنة)، (محارب، صفحة ١٠٦): "احملوا الراية في الأرض ونادوا بالبوق في الأمم قدسوا عليها الشعوب واستدعوا ممالك أراراط ومني وأشنكاز" (سفر إرميا (٥١: ٢٧))، وقد دعي هذا الجبل باللغة التركية "أغري داغ" وتحت مسمى "ماسس" بالأرمنية و"كوه نوح" بالإيرانية، وهو يتموضع جغرافيا في أقصى شرق تركيا متاخما لإيران وروسيا، وأن مرجعية التسمية تنسب إلى ترجمة "جيزوم" في العهد القديم منقولة من العبرية إلى اللاتينية فغير لفظة أراراط بأرمينيا،

ولما تم الكشف عن المدونات المسمارية الآشورية القديمة والتي توحى بوجود مملكة في أرمينيا خلال القرن ٠٧ ق.م تدعى "أراراطو" سارع عدد من الدارسين والمختصين اليهود والمسيحيين إلى جعله الاسم الذي صرحت به النصوص العبرانية.

ثم تحجج بعض شهود العيان بالعثور على شتات وحطام الفلك الخاص بالنبي نوح عليه السلام في أعلى جبل أراراط فأثارت هذه التصريحات ضجة في الأوساط العلمية، وبالمقابل فنجد أن التوراة الآرامية اليهودية والبشيتا الخاصة بالسريان والبشيتا الغربية و"كنزا ربا" (يسرد هذا المدون أحداثا تتعلق بعودة النبي آدم عليه السلام إلى ملكوت النور: "يا آدم. كلفت بأن أحررك من جسمك وأخرجك من هذا الوجود... لأرتقي بك إلى منزل والدك، بيت الاشراف والطمأنينة"، ففي العالم الآخر النفس هي من تقاسي الآلام وتواجه مصير العقاب أو الثواب فتجتاز المطهرات والتي تفتح طريقا تدريجيا نحو عالم النور، وبخصوص الروح فهي تبقى نقية فتعود إلى ملكوت النور، وهم يرون بوجود عالم مواز لعالمنا يطلق عليه اصطلاحا عالم المثل)، (مطر، ٢٠٠٩، صفحة ٤٠) الكتاب المقدس عند المندائيين تصرح بمسمى "قردو" بديلا لاسم أراراط، وقد حددها التراثيون من أهل الذمة والكتاب بجمال كردستان شرق دجلة أي "ديار بكر" في وقتنا الحالي (البدرى، ٢٠٠٩، الصفحات ٩-١٠).

وفي هذا المجال يعتبر أبرز وأدق بحث مسيحي معاصر يعالج قضية مرسى مركب "نوح" (عليه السلام) والذي يمثل حقيقة الموروث التاريخي المسيحي الواقعي هو ذلك الاجتهاد الذي جسده الباحث "بل كراوس" والذي جاء تحت عنوان "فلك نوح في مستقره النهائي"، إذ ناقش بالحجة والبرهان التاريخي المتخصصين المستحدثين الذين يدعون أن مستقر السفينة في أراراط، ووجه الأنظار صوب الفكرة الثابتة عند المسيحيين واليهود قديما والتي تقر بأن مكان رسو السفينة هو مرتفع قردو المكفى عند المسلمين بمرتفع الجودي، ويقول الباحث "كراوس" في هذا الشأن:

"لم تكن قصص شهود العيان ذات فائدة مرجوة في تعيين مكان السفينة، ففي غالب الأحيان كانت تلك الروايات محل تناقض واختلافات، بل قد تأكد بعد المعاينة الدقيقة أن أغلبها كان فيها شك وريب، مع العلم المسبق أن بعضا من تلك المعاينات قد قصها طيارون من ذوي السمعة الطيبة، لكن يمكننا تفسير ذلك بواقع مرئي وهو أن الجبل يحتوي على عدد معتبر من كتل البازلت الكبيرة والتي تتراءى للناظر للمرة الأولى وتحت ظروف ملائمة وكأنها بارجة ضخمة" (البدرى، ٢٠٠٩، صفحة ١٠).

الخاتمة:

تعتبر واقعة الطوفان من بين الأحداث التاريخية الأكثر تداولاً ضمن المصادر الأثرية والأدبية، بحيث خاضت في غمارها العديد من الدراسات النظرية والميدانية بهدف الوصول إلى نتائج مرضية على الساحة العلمية-التاريخية، ولعل الدافع والحفز الأساسي وراء ذلك بلا شك هو محاولة مط اللثام عن هذا الحدث البارز وإزالة التعتيم المتمعد حوله، ونحن

كدارسين وبناء على ما تقدم لنا من معطيات تاريخية حول طبيعة هذه الواقعة، واعتمادا على ما استخلصناه تبعا لعملية الاستقراء المرتبطة بالموضوع محل الدراسة، فقد خرجنا بجملة من الاستنتاجات وتأتي في طليعتها:

-عملية بناء السفينة تدل على خبرة كبيرة وواسعة في مجال بناء السفن، ويظهر ذلك من خلال حسن انتقاء المواد الأولية الداخلة في عملية البناء، التخطيط الجيد، استغلال نوعي للعامل الزمني في العملية. أما الأمر الذي يجعل هذه الفكرة غير كاملة المعالم من الناحية التاريخية هو غياب البقايا الأثرية التي تدعم هذه النظرية (هذا ما يحاول علماء الآثار الحصول عليه لمطابقة الدراسات النظرية مع الدراسات الميدانية).

-الاحتمالية التاريخية بوجود عدة طوفانات قد عرفتها البشرية خلال الفترات الموعلة في القدم، وأن أغلبها لم تذكره المصادر باعتبار أن الطوفانات قد حدثت ضمن فترات سابقة لابتكار الكتابة، وأن الحضارة الأسبق للاحتفاظ بهذا الحدث هي المدنية الرافدية التي وضعت النواميس الحضارية الأولى، وباعتبار أن العديد من الحضارات القديمة يغلب عليها الطابع الشفوي للاحتفاظ بالأحداث التاريخية.

-وجود نقاط اختلاف بين المصادر الدينية والأثرية حول طبيعة هذه الظاهرة الطبيعية، وحتى كل مصدر بحد ذاته، ومثال ذلك الاختلاف الموجود بين الوصف التوراتي والقرآني لواقعة الطوفان كاختلاف الشخصيات الفاعلة، المواقع الجغرافية، التحديدات الزمنية، وتمايز المصادر الأثرية من حيث اختلاف مناطق إجراء الأبحاث الأثرية واختلاف طبيعة تخصص العلماء واتجاهاتهم ومدارسهم الفكرية (علماء آثار، رجال دين، دبلوماسيين، مؤرخين... الخ).

-عدم توافق المصادر الدينية والأثرية من حيث الطرح المتعلق بالمدة الزمنية التي استغرقها الطوفان، وهذا الأمر ناجم بشكل منطقي عن اختلاف المنظور الخاص بهذه المصادر والايديولوجيات والوسائل المستخدمة لبلوغ نتائج حاسمة حول طبيعة الحدث المدروس.

-تضارب الآراء بين مختلف المصادر بخصوص الإطار الجغرافي والحيز المكاني الذي شمله الطوفان، كون أن الفكرة الأساسية التي تدعم هذا الاختلاف تنطلق أصلا من المرجعية الفكرية التي مفادها أن هذا الطوفان ليس طوفانا واحدا ذا شمولية مكانية وزمانية، وإنما هو في الأصل يتضمن عدة طوفانات شملت مواقع وأزمنة مختلفة، وأن المصادر التي عاجلت هذا الجانب لا تتشارك نفس الرؤية.

وكتوصيات حول هذا البحث المتضمن الحدث التاريخي المتعلق بالطوفان فنحن بالتأكيد نعول على العديد من الطروحات المستقبلية الداعمة والمكملة لهذا النوع من البحوث والتي ربما ستثمر بإجابات وافية ودقيقة. وقد ارتأينا صياغة هذه الطروحات على الشكل الآتي:

-الحث على ضرورة المطابقة بين الدراسات الأثرية والنظرية لبلوغ نتائج واقعية حول حادثة الطوفان.

-تحديد العثرات التي حالت دون الوصول إلى النتائج المنتظرة وضرورة تجاوزها من خلال تذليل الصعوبات الميدانية وترشيد الدراسات النظرية.

- توحيد الرؤى بين المدارس الفكرية التاريخية، والابتعاد عن مفهوم الأيديولوجية في تفسير طبيعة هذا الحدث.
- الاعتماد على التكنولوجيات الحديثة كإحدى الحلول المقترحة للميدان التطبيقي المرتبط بدراسة هذه الواقعة.

قائمة المصادر المراجع:

- ❖ سفر إرميا (٥١ : ٢٧). (بلا تاريخ).
- ❖ سفر إشعيا (٣٧ : ٣٨). (بلا تاريخ).
- ❖ سفر التكوين (٠٦ : ١٣، ١٤). (بلا تاريخ).
- ❖ سفر التكوين (٠٧ : ١٠، ١١). (بلا تاريخ).
- ❖ سورة هود/ الآية ٤٤. (بلا تاريخ).
- ❖ أحمد أمين سليم. (٢٠٠٠). دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- ❖ أحمد شلبي. (١٩٨٨). مقارنة الأديان (اليهودية). (ط١)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- ❖ أدونيس. (١٩٩٧). ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور). (قاسم الشواف، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الساقى.
- ❖ السيد سلامة غنمي. (٢٠٠٠). التوراة والأنجيل بين التناقض والأساطير. (ط١)، القاهرة: دار الأحدي.
- ❖ الموسوعة العربية العالمية. (١٩٩٩). (ط٢)، الرياض، المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- ❖ باقر طه. (١٩٧٦). مقدمة في أدب العراق القديم. بغداد: دار الحرية.
- ❖ حسن نعمة. (١٩٩٤). موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة. بيروت: دار الفكر اللبناني.
- ❖ حسين فهد حماد. (٢٠٠٣). وسوعة الآثار التاريخية (حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف ولغات)، دار أسامة الأردن.
- ❖ سعد صائب. (١٩٩٤). دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم. (ط١)، دمشق: دار طلاس.
- ❖ سعيد حبيب. (بلا تاريخ). أديان العالم. القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.
- ❖ سفر التكوين (٠٦ : ١٥، ١٦). (بلا تاريخ).
- ❖ سفر التكوين (٠٧ : ١٢-١٤). (بلا تاريخ).
- ❖ سورة هود / الآية ٣٧. (بلا تاريخ).
- ❖ سورة هود/ الآية ٤٠. (بلا تاريخ).
- ❖ سيد القمني. (١٩٩٩). الأسطورة والتراث. (ط٣)، القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة.

- ❖ شارل فيروللو. (١٩٩٠). أساطير بابل كنعان. (ماجد بك، المترجمون) مؤسسة الشرق القديم.
- ❖ صلاح أبو سعود. (٢٠٠٩). قصة الطوفان في نصوص الأسطورة والتوراة والقرآن. (ط١)، مصر: مكتبة النافذة.
- ❖ صمويل كيرمر. (بلا تاريخ). من ألواح سومر. (أحمد فخري، المحرر، و باقر طه، المترجمون) القاهرة، مؤسسة خابجي: مكتبة المثني .
- ❖ صمويل نوح كيرمر. (١٩٧٤). أساطير العالم القديم. (أحمد عبد الحميد يوسف، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ❖ عبد الحميد زايد. (بلا تاريخ). الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق.م. القاهرة: دار النهضة العربية.
- ❖ عبد الرزاق الحسني. (بلا تاريخ). العراق قديما وحديثا. (ط٣)، لبنان: مطبعة العرفان.
- ❖ فاضل عبد الواحد علي. (بلا تاريخ). الطوفان في المراجع المسمارية. جامعة بغداد.
- ❖ فراس السواح. (١٩٨٨). مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة (سوريا، أرض الرافدين). (ط١)، دمشق: دار علاء الدين.
- ❖ فهد حماد ح. (٢٠٠٣). موسوعة الآثار التاريخية (حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف ولغات الأردن: دار أسامة.
- ❖ قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية. (٢٠٠٩). طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام. (ط١)، دمشق: كيوان للطباعة.
- ❖ كارم محمود عزيز. (٢٠٠٦). أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم. (ط١)، مصر: مكتبة النافذة.
- ❖ ليونارد كوتريل. (١٩٩٢). نخبة من العلماء، الموسوعة الأثرية العالمية. (ط٢)، (محمد عبد القادر محمد، المترجمون) مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ❖ محروس إسماعيل ح. (١٩٩٨). الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- ❖ محمد بيومي مهران. (١٩٧٥). دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة. مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية (العدد ٥٥).
- ❖ محمد بيومي مهران. (١٩٨٨). دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق. (ط٢)، بيروت: دار النهضة العربية.
- ❖ محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط ٠٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ❖ مطر س. (٢٠٠٩). موسوعة اللغات العراقية. ط ٠١، غداد: مركز دراسات الأمة العراقية.

- ❖ ملاك محارب. (بلا تاريخ). دليل العهد القديم. مكتب النسر للطباعة.
- ❖ موريس بوكاي. (٢٠٠٤). القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة). (ط٢)، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- ❖ نبيلة محمد عبد الحليم. (١٩٧٣). معالم العصر التاريخي في العراق القديم. مصر: دار المعارف.
- هارون يحيى. (بلا تاريخ). الأمم البائدة. (ميسون نحلاوي، المترجمون)